

الأساس: الكتاب الأول: الافتراضات الأساسية (133)

الإدراك (94)

ماذا آل إليه الإدراك فك الحياة المعاصرة

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD021212.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2012/12/02
السنة السادسة - العدد: 1920



مقدمة

فجأة، ليس تماما فجأة، وجدنا أنفسنا أمام إشكالية لو اهتمنا بحل شفرتها، ربما تعلمنا ما يفيدنا في معركتنا - نحن البشر - الجارية حاليا في مواجهة احتمال الانقراض، فضلا عن مضاعفات مزيد من الاغتراب، هذه الوظيفة (أو البرنامج، أو الآلية) البقائية المسماة الإدراك، اختزلت داخل نطاق الحواس الخمس وتم إزاحة كل ما فاض عن هذه الحواس بعيدا عن العلم، لنضعه بجواره، باعتباره، "بحوار علم النفس" (باراسيكولوجي)!! هل يا ترى نستطيع ونحن نبحث عن هويتنا، أن نشارك في أن تستعيد هذه القدرة مكانتها، ونحن نشارك مع المجتهدين معنا عبر العالم ممن اكتشفوا انحراف مسيرة المعرفة، واشتبهاوا في تلوث أدواتها برغم إحكامها، ثم لعلها هي القدرة التي ربما تميزنا ولو بفضل تخلفنا، وفي نفس الوقت هي التي تحافظ على علاقتنا بالكون، وامتدادنا فيه، إلى الوعي المطلق، نحو وجه الله، مخترقين ستائر الغيب، غيبا بعد غيب، إلى ما وراءه بلا نهاية، مؤمنين طول الوقت بكل ما نعرفه، وأيضا بما يمكننا أن نعرفه، حالة كوننا نتعرف باستمرار كدحا وجهادا؟
ربما

مرة أخرى نتذكر معا فرض (أو حقيقة) أن الإدراك هو الذي حفظ الأنواع التي استطاعت أن تبقى وتقاوم الانقراض حتى الآن (دون ملل من التكرار: الواحد في الألف من كل الأحياء، بما في ذلك الإنسان)، وبالتالي هي دعوة للنظر في هذا البرنامج البقائي، علما بأننا ما زلنا نحمله غائرا فينا قادرا على الإسهام في مسيرة المعرفة بالتناوب، أو بالجدل، أو بغير ذلك. هذه القدرة البقائية التي ما زلنا نحملها هي هي بعد أن تطورت جدلا مع ما نشأ بعدها من فهم وتفكير وعقل ولغة، نعم، ما زلنا نحملها مثلما نحمل كل تاريخ الحياة حسب القانون الحيوي Biogenic law =

وجدنا أنفسنا أمام إشكالية لو اهتمنا بحل شفرتها، ربما تعلمنا ما يفيدنا فك معركتنا - نحن البشر - الجارية حاليا فك مواجهة احتمال الانقراض، فضلا عن مضاعفات مزيد من الاغتراب، هذه الوظيفة (أو البرنامج، أو الآلية) البقائية المسماة الإدراك

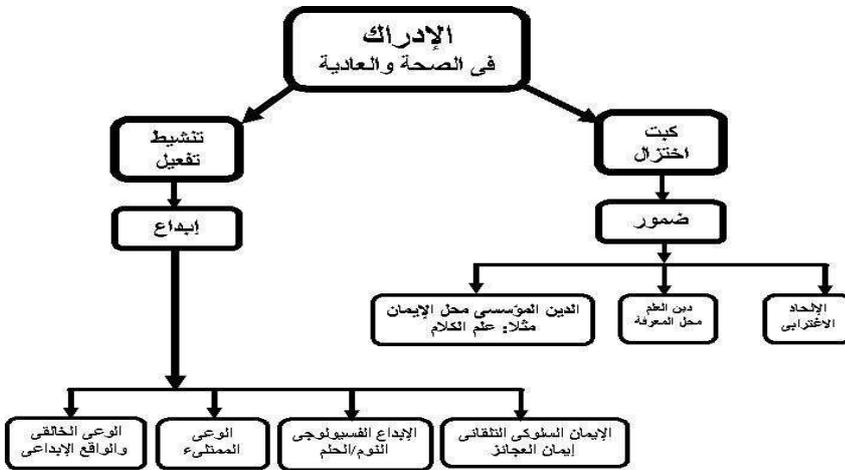
هل يا ترى نستطيع ونحن نبحث عن هويتنا، أن نشارك فك أن تستعيد هذه القدرة مكانتها، ونحن نشارك مع المجتهدين معنا عبر العالم ممن اكتشفوا انحراف مسيرة المعرفة، واشتبهاوا فك تلوث أدواتها برغم إحكامها

نتذكر معا فرض (أو حقيقة) أن الإدراك هو الذي حفظ الأنواع

Recapitulation Theory (Heckel)، والفكر التطوري عموماً؟

الذى وصلنى وأنا أنظر فى عمق هذا التاريخ المائل فى واقع الممارسة بجذوره العميقة، هو أن فى البشر نزوع مقابل للامتداد إلى الناحية الأخرى ونحن نحس، ونضع الفروض المنطقية التى تسمح لنا بتصور امتداد مسيرة التطور انطلاقاً من الإدراك/الأصل إلى كل ما يعد به التطور ونحن نهل من المعرفة فى صورتها الجديدة الأشمل.

هل يا ترى هذا هو الذى دعا الدكتور السامرائى، بحسبه أن يجرجرنا معه وهو يعوم فى موج الإدراك إلى بحر الموت، فمحيط المطلق، شعراء، وخبرة، ورسداً عملياً من واقع الممارسة؟
قبل أن أتمادى فى التأكيد على أن هذا المنهج قد يكون هو القادر أن يميزنا إذا نحن أتقنا حمل مسؤوليته، أود أن أؤكد أنه ليس خاصاً بتقافتنا دون غيرها، إذ لا بد من الاعتراف بأن بعض النخبة من أصحاب الفضل من السابقين المتقدمين فى الغرب قد أولوه حقه من التقدير والاحترام، فيما يسمى الموقف و"المنهج الفينومينولوجى" تحديداً، وهو ما أشرنا إليه فى أكثر من نشرة فى ملف الإدراك فى الأسابيع والشهور السابقة، كما أن ثقافات وديانات فى الشرق الأقصى، قد أسهمت فى البحث فيه والبحث به بقدر وافر ومفيد، لكننى أعتذر عن العروج إلى أية تفاصيل فى هذا أو ذاك، حتى أحتفظ بالتوجه الأساسى، أملاً أن نواصل المشاركة فى تحمل مسؤولية النقلة المعرفية والمنهجية التى يمكن أن تنقل الإنسان المعاصر فى كل مكان. إننا بمواصلة التجريب فى طرق البحث، وفى لغتنا - شعر بالمعنى الأشمل -، وحدث إيماننا، وهذى أدياننا، وواقع ممارستنا نأمل بعد أن سهلت سبل التواصل إلى هذه الدرجة الرائعة، أن يثرى بعضنا بعضاً، فى مواجهة الافتراض الكمي التكاثرى الذى يختزل الإنسان إلى أدنى من أجداده بما قد يفقده فاعلية مثل هذا البرنامج البقائى (الإدراك) الذى حصرنا هكذا من واقع الممارسة والمبادأة بكل هذه القوة والشمول وهو يعد بفرصة أن يعود الإنسان كائنًا مكرماً كما كرمه ربه، بامتداده نحو خالقه من خلال حمل أمانة كل إيجابيات الحياة والأحياء، إلى وجهه تعالى.



شكل (1)

التك استطاعت أن
تتقد وتقاوم الانقراض
حتك الآن

هذه القدرة البقائية
التك ما زلنا نحملها هك
هك بعد أن تطورت
جدلاً مع ما نشأ بعدها
من فهم وتفكير وعقل
ولغة

لا بد من الاعتراف بأن
بعض النخبة من أصحاب
الفضل من السابقين
المتقدمين فى الغرب
قد أولوه حقه من
التقدير والاحترام، فيما
يسمى الموقف و"المنهج
الفينومينولوجى" تحديداً

أملاً أن نواصل المشاركة
فك تحمل مسؤولية النقلة
المعرفية والمنهجية التك
يمكن أن تنقل الإنسان
المعاصر فك كل مكان

نأمل بعد أن سهلت سبل
التواصل إلك هذه
الدرجة الرائعة، أن
يثرى بعضنا بعضاً،
فك مواجهة الافتراض
الكمى التكاثرى
الذى يختزل الإنسان إلك
أدنى من أجداده بما
قد يفقده فاعلية مثل
هذا البرنامج البقائى
(الإدراك)

الشكل يبين بعض التجليات فقط]

ماذا لحق بالإدراك في أيامنا هذه؟

في هذه النشرة سوف نحاول أن ننظر فيما آل إليه حال الإدراك في الحياة المعاصرة، دون تعميم، ولعله من الأمانة أن أعترف أن ما دعاني إلى الاستمرار الآن بعد مقاومة شديدة، هو ما فتحه على كل من ساهم من أصدقاء في التعليق على هذه المحاولة بأى وسيلة على أى مستوى، وقد عجبت أنه كان أكثر موضوعات النشرة جذبا للتعليقات وإثارة للحوار، بل والإبداع. هل يا ترى يعنى هذا الترحيب أنه فعلا من مميزات ثقافتنا؟ ربما!

المهم نحن **نختزل** أو **نهمل** أو **نهمش** أو **ننكر** أو **نكبت** "الإدراك" بأى من السبل التالية:

1) الإغلاء من شأن ما يسمى "العقل"، ونحن نتكلم عادة عن عقل واحد حانق متحلق، منطقي، أرسطي غالبا، وبالتالي نلغى سائر العقول الأخرى التي هي هي عقولنا أيضا حملنا إياه تاريخنا الحيوى (القانون الحيوى Biogenic Low: أنظر أيضا أنواع العقول (نشرة 25-12-2007 "أنواع العقول وتعدد مستويات الوعى")، (نشرة 2-1-2008 "أنواع العقول (والغاء عقول الآخرين). وتعدد الذوات (نشرة 9-12-2007 "تعدد الكيانات وحركية الإبداع). وقد بلغ من تضخيم هذا العقل أن أهل هذا الدين الحضارى الشامل - الإسلام- الذى اهتم بالغيب وبيصر القلوب التى فى الصدور، وبمحاولة إزاحة الأقفال عن القلوب، سمى هذا الدين، باسم "دين العقل"، وفرح بهذه التسمية كل المنتمين إليه، (أو أغلبهم على الأقل) وهم يفخرون أشد الفخر بعقولهم الظاهرة، ربما على حساب عقولهم المؤمنة المدركة الأعمق، فتوقف الاجتهاد عند ما يسمح به هذا العقل الظاهر.

ثم إن أغلب العامة يرددون أن "ربنا عرفوه بالعقل"، وذلك ردا على حوار يقول إن أحدا لم ير الله لكننا عرفناه بالعقل، "حد شاف ربنا، قال لك لأ، إمال ربنا عرفوه بآيه؟ قال: بالعقل، قال: شفت ازاي!!" هكذا يجرى الحوار مجتزئا ليثبت أن العقل القادر على معرفة الله قادر على حل المشكلة المثارة.. إلخ، لكننى أتوقف هنا لأننى أرجح أن العامة لا يستعملون فى حوارهم هذا كلمة "العقل" بالمعنى الاختزالى السابق ذكره، لأن الحوار يبدأ أن أحدا لم ير الله لكننا عرفناه بالعقل، وكأنه يقول: ولكننا رأيناه بالعقل (الأخر)، فيقربنا هذا التأويل من الإدراك وليس فقط من العقل المنطقي الاختزالى.

2) أختزل الإدراك فى حدود الحواس الخمسة إذ اقتصر تعريفه على أنه "العملية التى تعطى للإحساس معنى"، ويقصد بالإحساس فى هذا التعريف: الحواس الخمس، ومعظم دراسات الإدراك فى مجال علم النفس، وعلم النفس الفسيولوجى، والفسيولوجيا، وأسهمت وأسهبت فى دراسة الإدراك عامة والإدراك البصرى خاصة، وأضاف الكثير بقدر ما أغرت بإهمال ما لا يمكن دراسته بنفس الطريقة أو ما يماثلها، وكان هذا على

يعد (الإدراك) بفرصة
أن يعود الإنسان كائنا
مكرما كما كرمه ربه،
بامتداده نحو خالقه من
خلال حمل أمانة
كل إجابيات الحياة
والأحياء، إلح وجهه
تعالج.

نختزل أو نهمل أو نهمش
أو ننكر أو نكبت
"الإدراك"

أرجح أن العامة لا
يستعملون فك حوارهم
هذا كلمة "العقل"
بالمعنى الاختزالى
السابق ذكره، لأن الحوار
يبدأ أن أحدا لم ير
الله لكننا عرفناه بالعقل،
وكانه يقول: ولكننا
رأيناه بالعقل (الأخر)،
فيقربنا هذا التأويل من
الإدراك وليس فقط من
العقل المنطقي
الاختزالى

معظم دراسات الإدراك
فك مجال علم النفس،
وعلم النفس الفسيولوجى،
والفسيولوجيا، أسهمت
وأسهبت فك دراسة
الإدراك عامة والإدراك
البصرى خاصة،
وأضافت الكثير بقدر ما
أغرت بإهمال ما لا يمكن

حساب الإدراك الأصل بداهة.

(3) تعظفا من علم النفس سمح لما يسمى الإدراك خارج الحواس (الخمسة) "المتجاوز لها" أن يلتحق بعلم (يسمى علما تجاوزا) الباراسيكولوجي، وهو علم قد يكون مقبولا عند العامة أكثر من الخاصة، وهو يتماس مع كثير من الممارسات الخرافية الشائعة، كما أن أكثر معطياته تستعصى على القياس المسمى الموضوعي، وبالتالي فإنه عرضة لسوء الاستعمال لدرجة الدجل والشعوذة، ولعل هذا هو ما دعى العلماء الحريصون على نقاء علومهم وحبكتها أن يتجنبوا الموضوع برمته. مرة أخرى أستعمل التعبير الشائع، فألقوا السلة بالطفل الذي فيها تخلصا من رائحة السلة، أو اشتباها في محتواها

(4) برغم من تراجع هذا التوجه حديثا، إلا أن ما جرى في العقود القليلة الماضية كان أن تمدى العلم المؤسسى فى ازدياد "العلم المعرفى" Cognitive Science بما فى ذلك العلم المعرفى العصبى Cognitive Neuroscience لدرجة اعتبار مبادئه الأساسية خروجاً عن دين العلم الحاسوبى المؤسسى (وقد وصفوا بعض إنجازاته بالهرطقة، مثل أن "التفكير ليس فقط بالرموز!!" و"المعرفة ليست فقط فى الدماغ!!!") (5) تم استبعاد الجسد كأداة معرفية فى أغلب الدراسات التقليدية، واستمر التعامل معه كقفاز خارجى، ووسيلة مادية لاحتواء ما هو أهم، وبناء عليه تمدى الانشقاق، ولو مجازاً، بين ما هو "جسد" وما هو "روح" بطريقة همّشت كل من الجسد والوعى على حد سواء، ولعل تجنب هذا الانشقاق هو ما نفهمه من تذكرة ربنا لنبينا صلى الله عليه وسلم ألا يرد على من يسأله عن الروح، لأنها من أمره وحده. (وقد لاحظت أن كثيرين من الأصدقاء الذين رحبوا بفتح ملف الإدراك، قد استعملوا لغة وردت فيها كلمات الروح، والروحانية، والشفافية، ومثل هذه المصطلحات التى تبعدنا عن الجسد والبيولوجى بشكل أو بآخر)

(6) جرى ويجرى - من ناحية الممارسة الفعلية وليس بالضرورة التنظير- اختزال الإيمان (الكبح الإبداعى) إلى الدين، واختزال الدين إلى الشريعة التى جرى استنباط أحكامها غالباً فى حدود سجن المعاجم، وصعوبات التأريخ، واجتهاد عقول المفسرين، دون تجديد استلهام النصوص الرحبة الواعدة المرنة؟

(7) زادت صعوبات دراسة الإدراك على المستوى الأشمل حين تبين للباحثين (والممارسين والعامة) شدة ارتباطه بما هو "وعى" Consciousness، ومع غموض مفهوم الوعى، أو اختزاله إلى نشاط عصبى للجهاز المشبكي الصاعد، بما يقابل وظيفة اليقظة والانتباه، أو اختزاله إلى الشعور الظاهر بما يحتاج إلى نفيه بعكسه الباطن (العقل الباطن أو اللاشعور فى لغة التحليل النفسى) فلبس الإدراك مع الوعى عباءة

دراسته بنفس الطريقة أو ما يماثلها، وكان هذا على حساب الإدراك الأصل بداهة

ما جرى فك العقود القليلة الماضية كان أن تمدى العلم المؤسسى فك ازدياد "العلم المعرفى" Cognitive Science بما فى ذلك العلم المعرفى العصبى Cognitive Neuroscience لدرجة اعتبار مبادئه الأساسية خروجاً عن دين العلم الحاسوبى المؤسسى *

تم استبعاد الجسد كأداة معرفية فى أغلب الدراسات التقليدية، واستمر التعامل معه كقفاز خارجى، ووسيلة مادية لاحتواء ما هو أهم، وبناء عليه تمدى الانشقاق، ولو مجازاً، بين ما هو "جسد" وما هو "روح" بطريقة همّشت كل من الجسد والوعى على حد سواء

زادت صعوبات دراسة الإدراك على المستوى الأشمل حين تبين للباحثين (والممارسين والعامة) شدة ارتباطه بما هو

(8) بصفة عامة، نادرا ما ربط الباحثون الإدراك بالفكر التطوري، بل إن البعض ربط هذا الفكر بالهرطقة بشكل أو بآخر حتى وصل الأمر إلى حد التكفير في بعض الأحيان، وذلك بدلا من الاجتهاد لإعادة تفسير نصوص لم تتص على رفض هذا الفكر أصلا بدءا من تسبيح الجبال وكل ما بين السماوات والأرض، وليس منتهيا إلى ما هو سلالة وعلاقتها بما هو سلسلة... إلخ، علما بأن كل هذه العلوم بما فيها من توسيع المعرفة، وتعميق الوعي، وتعداد أدوات المعرفة، وتوسيع مجالاتها، هي مما أنزل الله من فضله على عباده العلماء والعارفين، وأن علينا أن نحكم بما أنزل الله بما يفيد البشر كدحا إليه ونفعا لهم [1].

(9) توارى الإدراك بعيدا عن البحث المنهجي مع تحول العلم المؤسسى إلى "أيديولوجيا"، تنفى كل ما عداها على أنه "لا-علم"، بل "خرافة صرف، طبعا يتم ذلك تحت تأثير قوى السوق والنشر والمال. يرجع هذا إلى وصاية تفسيرات للنص الدينى (دون النص نفسه) على العلم، فى مقابل محاولة مدح الدين وتسويقه بتفسيرات سطحية تعسفية من العلم المؤسسى غالبا.

(10) مع التمدادى فى تقديس المنهج الكمى جرى جمود لمناهج البحث العلمى واختزال لمفهوم الموضوعية، وفصل الباحث عن مبحثه كجزء منه فصلا حاسما (لم يخل من رفض أو تحقير أو استهانة بالمنهج الفينومينولوجى)

(11) زاد تدخل المال (شركات الدواء كمثل) فى تحديد نوع الأبحاث ومسارها، وذلك فيما يسمى "الأبحاث الباهظة التكاليف" التى ينظر لتغطية تكاليفها (المبالغ فيها عادة) أكثر مما ينظر إلى فائدتها، ليس فقط فائدتها فى الحياة العامة، أو الصحة أو تعمير الأرض، أو سد حاجات البشر، ولا فى جدواها فى الرقى بالبشر ليكونوا بشرا كما خلقهم ربهم. والأبحاث فى الإدراك ليس لها عائد مادية سريع طبعا (أم ماذا؟)

(12) تمادت - إلا قليلا - نزعة تقسيم الوظائف النفسية، وخاصة فصل العواطف (الوجدان) عن العملية المعرفية، وعدم الترحيب بدورها فى اعتمال المعلومات بآلية موازية، أو مكاملة، أو متكافلة مع اعتمال المعلومات المرموزة تفكيراً

(13) ندرت محاولات الربط بالعلوم الأحدث فالأحدث بالعمليات النفسية والبرامج المعرفية وعلى رأسها الإدراك، وذلك مثل العلوم الكمومية مثل الرياضيات الكمومية والطبيعة الكمومية Quantum Mathematics & Quantum Physics وأيضا العلوم الحاسوبية العملاقة مثل Chaos Science & Complexity science

(14) أزيحت مناهل وقنوات المعرفة الأخرى بعيدة عن محراب العلم، فقلّ عطاء الفلسفة مع أن دورها العملى فى الحياة العادية يستعيد مكانته تدريجيا، وكذا لم ننتبه إلى

ومع غموض مفهوم الوعي، أو اختزاله إلى نشاط عصبى للجهاز المشبكي الصاعد

علما بأن كل هذه العلوم بما فيها من توسيع المعرفة، وتعميق الوعي، وتعداد أدوات المعرفة، وتوسيع مجالاتها، هي مما أنزل الله من فضله على عباده العلماء والعارفين، وأن علينا أن نحكم بما أنزل الله بما يفيد البشر كدحا إليه ونفعا لهم [1]

مع التمداد فى تقديس المنهج الكمى جرى جمود لمناهج البحث العلمى واختزال لمفهوم الموضوعية

زاد تدخل المال (شركات الدواء كمثل) فى تحديد نوع الأبحاث ومسارها، وذلك فيما يسمى "الأبحاث الباهظة التكاليف" التى ينظر لتغطية تكاليفها (المبالغ فيها عادة) أكثر مما ينظر إلى فائدتها

العطاء المعرفى الواصل إلينا من خبرات الجهاد الصوفى المثابر.

وبعد

أعلم أن كل هذه القضايا قد تناولها الكاتب بشكل أو بآخر فى أكثر من مناسبة وأطروحة ومقال فى النشرات وغير النشرات، لذلك لن أقدم الآن بأى تفصيل بالنسبة لها، أما بالنسبة للجانب الآخر الذى حافظ على دور للإدراك برغم كل ما سبق، فسوف يكون موضوع نشرة الغد مع الإشارة لبعض تشكيلات الإدراك الإيجابية نتيجة لذلك.

[1] - ولا ننسى ما ذكرنا فى المقدمة كيف أن الإدراك حفظ الأنواع التى بقيت.

تمادت - إلا قليلا - نزعة
تقسيم الوظائف النفسية،
وخاصة فصل العواطف
(الوجدان) عن العملية
المعرفية، وعدم الترحيب
بدورها فك اعتماد
المعلومات بألية موازية،
أو مكاملة، أو متكافئة
مع اعتماد المعلومات
المرموزة تفكيراً

*** **

وحدة الدراسة والبحث فى الإنسان والتطور

"قراءة - النمى البشرى من منظور تطوري - انطلاقاً مما أدركه يحيى الرخاوي"

الإصدار الفصلي لنشرة " الإنسان والتطور " (حسب المهاور)

ربيع - صيف 2012

" الفصام "

... قراءة من منظور تطوري

مع ملحق حدود بريد الجمعة

www.arabpsynet.comwww.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.exe

بروفيسور يحيى الرخاوي

rakhawy@rakhawy.org

mokattampsych2002@hotmail.com

<https://www.facebook.com/notes/arabpsynet-mails/375402525876194>